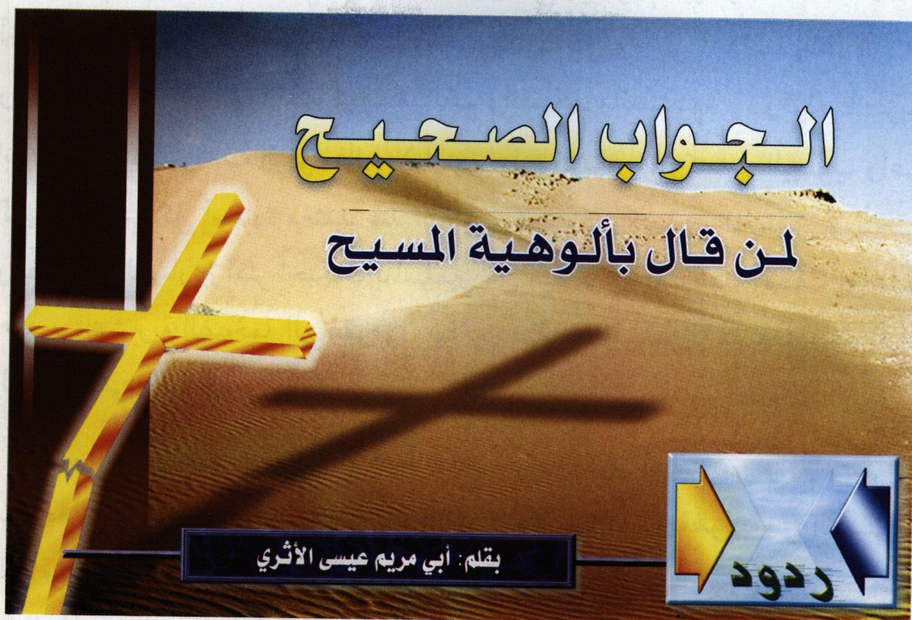


الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد: فلعل قائل يقول: إذا كانت نصوص الأناجيل تنفي الألوهية عن الْمَسِيح، وتثبت له النبوة كسائر من سبقه من الأَنْبِيَاء والمرسلين؛ فما هو متعلق النَّصَارَى إذن؟! وما دليلهم على قولهم بألوهيته؟!.

أقول: لا شك أن للنَّصَارَى أدلةً هي عمدتهم في قولهم هذا في الْمَسِيح كما لنا أدلة على نبوته، ولكن الفرق بيننا وبينهم أن أدلتنا واضحة وصريحة، لا تقبل الجدل ولا التأويل ولا يمكن حملُها إلى ما لا تحتمل، ثم ليست هي من قبيل الشبهات، أما هم فعلى النقيض تماماً، ليس في أدلتهم دليل واحد صريح يؤيد دعواهم، وكل أدلتهم إنَّما هي شبهات لا تقوم بها حُجَّة، فقد ساقوها سوقاً، وحمّلوها ما لا تحتمل، وفسروها بما يناسب أهواءهم هم ولا يطابق معناها الحقيقي، ولذلك تراها تتهاوى وتسقط بأول صدمة بله بأبسط صدمة.

سنعرض في رسالتنا هذه أهم أدلة النَّصَارَى التي يقومون عليها ونفندها دليلاً بعد آخر، وهذا جزء من واجبنا تجاه ديننا وإخواننا، لا بل وحتى أعدائنا إمتثالاً لأمر رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1]، وقوله ﷺ لزيد ابن ثابت: «تعلم كتاب اليهود فإني لا آمنهم على كتابنا»[2]، وكتاب اليهود، وأعني العهد القديم بكل أسفاره معتمد عند النَّصَارَىكجزء من كتابهم المقدس لا يتجزأ، وأيضاً فإن النَّصَارَى أكثر احتكاكاً بالمسلمين من اليهود في عصرنا، أضف إلى ذلك حملتهم التبشيرية الضخمة التي يقومون بها بين صفوف المسلمين، مما يجعل تعلُّم كتاب النَّصَارَى من باب أولى.

إن موضوع رسالتنا هذه من الأهمية بمكان، ونحن ندرك أهميته من واقع التجربة، من خلال لقاءاتنا مع القسيسين وطلبة العلم النَّصَارَى، وقد حفظوا بعض النصوص التي ستمر بك إن شاء الله، كيف يقف أحدهم حائراً بعد تفنيد حججه التي حفظوه إياها، لا يدري ما يفعل وقد أخذته الدهشة بعد تفنيد حججه بنص كتابهم المقدس الذي يؤمن به علماً أنه قد درس في أشهر الكليات اللاهوتية في العالم أو حاصل على شهادة الدكتوراه في اللاهوت.

وأود أن ألفت نظر القارئ الكريم بأن لا يظن أن كاتب هذه السطور قد بلغ شأواً في هذا المجال لا، وإنَّما هي معلومات متواضعة جداً، استفدناها من علماء أجلاء، كتبوا في هذا المجال، ولكننا مع معلوماتنا المتواضعة هذه نؤمن بأنه لا خير فيمن علم شيئاً ولم ينفع به غيره.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به النفع العميم وأن يوفقنا لإتمام العمل الذي بدأنا به (وهو سلسلة دراسات وأبحاث في الديانة النَّصرانية) إنه سميع قريب مجيب.

---

(١) أبو داود والنسائي والحاكم، وصححه النووي في رياض الصالحين ووافقه الألباني.

(٢) أبو داود والترمذي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٨٧).

أدلة النَّصارَى والرد عليها :

١- يوحنا (١٠/٣٠) قول الْمَسِيح «.... أنا والأب واحد».

إن هذا النص من أهم النصوص التي يعوّل عليها النَّصارَى في قولهم بألوهية الْمَسِيح، وبموجبه يعتبرون الْمَسِيح واحداً مع الله، ولا شك أن هذا النص لا متعلق لهم فيه البتة، فالوحدة هنا في هذا النص يراد بها وحدة القصد والهدف، وليس وحدة الذات، ولذلك قال الربُّ عن آدم وامرأته: «ليكونا جسداً واحداً» كما في سفر التكوين؛ فهل صار آدم وامرأته ذاتاً واحدة وجسداً واحداً؟ الجواب لا وإنَّما الوحدة هنا وحدة القصد والهدف وهي تكوين نسل بشري.

في رسالة بولس إلى أفسس (٥/ ٣١): «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً» وهذا صريح في أن الوحدة هنا في قوله: «ويكون الاثنان جسداً واحداً» هي وحدة القصد والهدف، أي أن يكون قصدهما واحداً وهدفهما واحداً وهو تكوين عائلة لديمومة الجنس البشري.

في إنْجِيل متّى (١٩/ ٥) قول يسوع: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمّه ويلتصق بامرأته ليكون الاثنان جسداً واحداً، ليسا بعد اثنين بل جسد واحد». وليست هناك صراحة أكثر من هذه «ليسا اثنين بل جسد واحد»، فهل يكون الرجل مع امرأته عند الزواج ذاتاً واحدة وجسداً واحداً؟ الجواب لا، وإنَّما هذا كناية عن وحدة القصد والهدف.

وفي إنْجِيل يوحنا (١٧/ ٢١) يسوع عليه السلام يخاطب الله تعالى بقوله: «أيها الآب كما أنا فيك وأنت فيَّ فليكونوا هم واحداً فينا، فهل معنى ذلك أن الْمَسِيح والآب والتلاميذ صاروا ذاتاً واحدة وجسداً واحداً؟! لا وإنَّما الوحدة هنا وحدة القصد والهدف، فالله تعالى كلَّف الْمَسِيح بالرسالة، والْمَسِيح نادى بها وبلغها إلى قومه، والتلاميذ قاموا بتحمل أعبائها من بعده.

قال الشيخ أحمد ديدات في مناظرته مع الدكتور أنيس شورش حول ألوهية الْمَسِيح قال: إن كلمة-واحد-في اللغة اليونانية هي -هِنْ- والنص اليوناني المترجم عنه الأناجيل قد استخدم كلمة -هِنْ- في كافة النصوص التي وردت فيها كلمة-واحد- (أنا والأب واحد) (فليكونوا هم واحداً فينا) (ليكونوا جسداً واحداً) فهذه النصوص وغيرها قد استخدمت فيها كلمة -هِنْ- مما يعني أنها تُعطي معنىً واحداً في النصوص كافَّة.أ.هـ.

قلت: فحمل الوحدة هنا على وحدة الذات يحتاج إلى قرينة لإثبات ذلك وليس هنالك من قرينة بل القرائن كلّها تؤيد حمل معناها على وحدة القصد والهدف كما بيّنا آنفاً وبذلك يسقط احتجاجهم بهذا النص.

٢- يوحنا (٢٠/٢٨) قول توما: «ربّي وإلهي».

يستدل النَّصَارَى بهذا النص ليثبتوا ألوهية الْمَسِيح فيقولون: إن توما خاطب الْمَسِيح بقوله: «ربِّي وإلهي» ويريدون بذلك أن الْمَسِيح هو ربه وإلهه، وهذا ما قاله أيضاً مؤلف معجم اللاهوت الكتابي والأب سليم بسترسن في كتابه اللاهوت الْمَسِيحي والإنسان المعاصر كما أشرنا إلى ذلك في رسالتنا «القول الجميل في نفي ألوهية الْمَسِيح وإثبات نبوته بصريح الإِنْجِيل» في الحقيقة إن قول توما هذا هو في سياق التعجب لا أكثر، فإن التلاميذ جميعاً سمعوا أن الْمَسِيح قد صُلب ولم يحضروا هم واقعة الصلب[1]،فلما دخل عليهم بعد الْقِيَامَة لم يكن توما حاضراً معهم في ذلك الوقت الذي ظهر لهم فيه الْمَسِيح، فلما جاء توما أخبره التلاميذ أن يسوع ظهر لهم وأنه حي وأنهم شاهدوه، فلم يصدق توما ذلك، كيف يُصلب ثم يدخل عليهم بعد صَلبه ويراهم ويرونه؟! لم يصدق توما هذا الكلام،

(١) سنبين ذلك في رسالتنا الموسومة «أيها النَّصَارَى كتابكم يقول إن الْمَسِيح لم يصلب» والتي أسأل الله أن يعينني على إتمامها.

ولذلك أراد أن يتأكد من ذلك بحيث يرى أثر المسامير في يديه وطعنة الحربة في جنبه أثناء الصَلب فقال لهم: «إن لم أبصر في يديه أثر المسامير وأضع أصبعي في جنبه لا أؤمن» انظر إنْجيل يوحنا (٢٠/ ٢٥) وما قبلها، لذلك لما ظهر لهم يسوع مرة أخرى بعد ثمانية أيام، وكان توما حاضراً معهم، وقف يسوع وسط التلاميذ وقال لتوما: «هات إصبعك إلى هنا، ولا تكن غير مؤمن وضعها في جنبي، أجاب توما وقال: ربي وإلهي» انظر يوحنا (٢٠/ ٢٨) فهل يقصد توما أن يخاطب الْمَسِيح بهذا الكلام ويقول له أنت ربي وإلهي؟! لا ثم لا وإنَّما سمع توما أن الْمَسِيح قد صُلب وضُرب بالمسامير في يديه وطُعن بحربة في جنبه كما نص على ذلك يوحنا في إنْجيله، وقيل أنه صُلب ومات، فإذا كان يسوع قد صُلب ومات فعلاً فكيف يأتي إلى التلاميذ ويظهر لهم؟! فإما أن يكون التلاميذ قد كذبوا على توما عندما أخبروه أن يسوع ظهر لهم؛ أو أن الْمَسِيح لم يُصلب وإنَّما هرب من صالبيه ونجا بنفسه ولذلك دخل عليهم وهو حي، لكن التلاميذ أكدوا لتوما أن الْمَسِيح حضر بنفسه عندهم وأثر المسامير في يديه والطعنة في جنبه لذلك قال توما: إن لم أرَ أثر المسامير وأضع يدي في مكان الطعنة لا أُصدّق أن الْمَسِيح قد ظهر لكم ولن أؤمن بما تقولون، وبعد ثمانية أيام ظهر يسوع للتلاميذ مرة أخرى وكان توما حاضراً معهم، فقال يسوع لتوما هات إصبعك إلى هنا -أي إلى مكان الطعنة- وانظر أثر المسامير في يديَّ فلما رأى توما ذلك صاح متعجباً: ربي وإلهي ولا يقصد أن يسوع ربه وإلهه كلا وإنَّما كلامه هذا في سياق التعجب، وكثيراً ما يرى الإنسان شيئاً يتعجب منه ماذا يقول؟ بعضهم يقول: سبحان الله ما هذا الشيء؟! بل منهم من يمد صوته قائلاً: الله ما هذا الجمال أو ما هذه الروعة؟! فهل يقصد بكلامه الشيء الذي تعجب منه؟! لا وإنَّما هذه حالة طبيعية، كل فرد إن تعجب من شيء فإنه يعبر عن تعجبه بطريقته حتى إن بعضهم ليعبر عن تعجبه بالصفير وكل هذا وارد ومُلاحظ عند النَّاس، فليس في كلام توما أي

تلميح فضلاً عن التصريح بألوهية الْمَسِيح، وقد بيّنا نظـرة التلاميـذ للمسيـح في رسالتنا (القول الجميل).

٣- لوقا (١/٣٥) قول الملاك لمريم: ((فلذلـك القدوس المولـود منـك يُدعـى ابن الله)).

يقول النَّصَارَى إن القدوس كلمة لا تطلق إلا على الإله، فلو لم يكن الْمَسِيح إلهاً لما كان قدوساً .

قلت: إن كلمة القدوس يختلف معناها بين النصرانيـة والإسـلام، فعنـد النَّصَـارَى كلمة القدوس تعني المفرَز أو المجنَّب، و لذلك جـاء في سفر الخروج (١٣/ ٢) قـول الرب لموسى عليه السلام: «قدِّس لي كل ذكر بكر فاتح رحـم مـن البشـر والبهـائم». ومعنى «قدِّس لي» أي (افرز لي وجنّب لي) كل ذكر بكر فاتح رحـم مـن البشـر ومـن البهائم أيضاً ولا شك أن الْمَسِيح ذكر وبكر أمّه وهو أول مولود لها أي فاتح رحمهـا، فهو إذن مفروز ومجنَّب لله، اصطفاه الله ممن اصطفى لحمل الرسالة الإلهية.

أما في الإسلام فمعناها المنزَّه عن النقائص والعيـوب الطـاهر منهـا، لأنَّ القـدوس اسم من أسماء الله تعالى وهو فُعُول من (القدس) الذي هو الطهارة، وهذه لا تصلح إلا لله وحده.

٤- رؤيا يوحنا اللاهوتي (١/٨) : ((أنا الألف والياء والبداية والنهاية)).

فقالوا لو لم يكن الْمَسِيح إلهاً لما كان هو البداية والنهاية!!.

وجواباً عليه أقول:

١- إن سفر الرؤيا هـو أحـد الأسـفار السبعة الـتي أسـقطها مجمـع نيقيـة الملتئم (٣٢٥م) باعتبارها محرفة مزيفة ساقطة غير معتبرة (وقد بيَّنـا ذلـك في رسـالتنا الثانيـة «إقامة الدليل على تحريف الإِنْجِيل» والتي نشرت في العدد الخامس مـن هـذه المجلـة)

وما زال البروتستانت لا يعترفون به ويسمى ابوكريفا[1].

٢- قال الشيخ أحمد ديدات في مناظرته مع شورش: إن هذا ليس من قول الْمَسِيح عليه السلام وإنّما هو مما رآه يوحنا في الحلم، ورؤيا يوحنا هذه هي رؤيا عجيبة، فيها حيوانات بداخلها عيون وبعيون على أجسادها، وبقرون وفي داخلها عيون، وهي رؤيا عجيبة وأي إنسان إذا ما أفرط في طعامه فسيرى مثل هذه الرؤيا)- وقال: «إن الْمَسِيح عليه السلام نفسه لم يقل مثل هذا الكلام طيلة وجوده بين النَّاس».

قلت: وكيف يكون عيسى عليه السلام هو البداية، والكتاب المقدس ينص على أنه ولد في زمن هيرودس قبل ألفي سنة تقريباً؟ فكيف يكون هو البداية وقد سبقته كل تلك الأجيال البشرية؟! وكيف يكون هو النهاية وقد انتهى على الصليب بتلك الموتة الشنيعة بموجب العقيدة النصرانية؟ فمن كان مسبوقاً بالعدم ومنتهياً بالصلب لا يمكن أن يكون إلهاً.

٥- في رسالة يوحنا الأولى (٧/٥): «إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد».

قال الأستاذ ديدات في مناظرته مع سواكارت: «إن اثنين وثلاثين من أبرز علماء الْمَسِيحية قدراً تساندهم خمسون طائفة من الطوائف الْمَسِيحية قالوا إن هذه العبارة محرفة».

قلت: واجتماع هؤلاء العلماء الذين أشار إليهم الشيخ كان في ديسمبر عام ١٨٨١م فقد أسقطوا هذه العبارة واعتبروها محرفة، ولذلك نرى بعض الطبعات قد

---

(١) ابو كريفا معناها (المشكوك فيه)، والنَّصارَى يؤولون هذه الكلمة ويقولون إن المراد بها (القانونية الثانية) أي أن الأسفار والرسائل التي أقرها مجمع نيقية الأول (٣٢٥م) تعرف بالقانونية الأولى، وأما هذه الأسفار السبعة فإنها أقل مرتبة منها فتأتي بالمرتبة الثانية بعدها، ولذلك أقرتها المجامع الكنسية التي تلت مجمع نيقية الأول.

خلت من هذه العبارة، فقد قام الأبوان صبحي حموي ويوسف قوشاقجي بترجمة العهد الجديد وطبعهِ طبعةً أنيقة، فأسقطا هذه العبارة من النص، ثم علقا على ذلك في الهامش بقولهما: [ورد في بعض النسخ عبارة «إن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد» ولكن لم يرد في الأصول اليونانية المعوّل عليها هذه العبارة، فيحتمل أن يكون شرحاً في بعض النسخ أضيف إلى المتن].

نفهم من هذا الكلام أن الأصول اليونانية المعوَّل عليها ليس فيها هذه العبارة. وقد أسقطها أيضاً الأب جورج فاخوري البولسي من النص المترجم عند ترجمته للعهد الجديد.

ونرى كذلك في كتاب الحياة المطبوع في (جي-سي-سنتر)[1] بمصر، وهذا الكتاب هو ترجمته للكتاب المقدس باللغتين العربية والانكليزية، فإننا نرى النص الانكليزي قد خلا من هذه العبارة، ونرى في الجهة المقابلة ترجمته باللغة العربية وقد أضيفت هذه العبارة إلى النص العربي، ولكنها وُضعت بين حاصرتين كبيرتين [ ] للدلالة على أن هذه العبارة أضيفت من المترجم، وليست موجودة ضمن النص الأصلي.

وكل علماء اللاهوت يعرفون ذلك معرفة جيدة، ويعلمون أن هذه العبارة محرفة، ولكنهم لا يترددون في الاحتجاج بها في محاضراتهم ومناظراتهم، فهذا البابا شنودة مثلاً ألقى محاضرة بعنوان التوحيد والتثليث، سمعتها على شريط كاسيت فمن الأدلة التي احتج بها على التثليث، ذكر هذه العبارة وكأنها نص مُنزّل، وقد تطرق في محاضرته تلك إلى التوحيد الإسلامي، نسأل الله تعالى أن يهيىء لنا فرصة للكلام في هذا الموضوع الهام لأنه من صُلْب العقيدة النَّصرانية.

(١) هذا الرمز لمركز طباعة الكتاب المقدس في مصر، وكتاب الحياة يريدون به الكتاب المقدس والذي أسس المركز المذكور حسب الذي بلغني هو الأب شنودة راعي الكرازة المرقسية والمركز المذكور له نشاطات خطيرة في التبشير.

٦- في رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس (١٦/٣):

«عظيم هو سرُّ التقوى الله ظهر في الجسد»

قلت: وهذه العبارة هي الأخرى محرفة فقد أسقطها اثنان وثلاثون من أبرز علماء النَّصرانية قدراً تساندهم خمسون طائفة من طوائفها في اجتماعهم في ديسمبر عام ١٨٨١م.

٧- قول الْمَسِيح: «أنا نور العالم».

قالوا: إن الإله هو نور العالم فلو لم يكن الْمَسِيح إلهاً لما كان نوراً للعالم!!.

قلت: لو كان هذا الكلام يرفع الْمَسِيح إلى مقام الألوهية إذن لشاركه فيها تلاميذه إذ إن يسوع نفسه قال لهم: «أنتم نور العالم» انظر يوحنا (٥/ ١٤)، ولصاروا إذن آلهة كما صار الْمَسِيح إلهاً.

إن الْمَسِيح نور العالم بالرسالة السماوية التي جاء بها لهداية قومه، وكل نبي هو نور للعالم في وقته، بما يحمله من الهدى والخير الذي يُخرج به النَّاس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، بإخلاص العبادة بكل ما تتضمنه لله تعالى وحده.

٨- متى (٢٣/١): «هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسير الله معنا».

قال القس عوض سمعان: «.... إن اسم عمانوئيل ينطق على الْمَسِيح وحده لأن معناه الله معنا أو الله الظاهر لنا.[(١)]

(١) الله... طرق اعلانه عن ذاته ص٣٣ نقلاً عن كتاب الْمَسِيح في القرآن والتوراة والإِنْجِيل للأستاذ عبد الكريم الخطيب وهو كتاب ممتاز لولا بعض الآراء الفلسفية فيه.

لا أدري هل نسي هذا القس المبجّل أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة وقد نص على ذلك يوحنا في إنْجيله (١/ ١٨) وسنوضح ذلك في الفقرة القادمة.

فإذا كان الْمَسِيح هو الله كما يقول هذا القس، فكيف أمكنهم رؤية الله في الدنيا؟! وفوق ذلك إذا قلنا الله معنا؛ فهل هو معنا بذاته؟ لا إن الله تعالى على عرشه استوى وهو معنا بعلمه وسمعه وبصره، لا تخفى عليه خافية من أمرنا، وهو مع المؤمنين بالنصر والتأييد ومع أوليائه بالحفظ والرعاية لهم.

إن القول بأن الله معنا بذاته أو أن الله في كل مكان بذاته هو قول باطل، ولولا خشية الخروج عن الموضوع الذي نحن بصدده، لنقلت لك مفاسد هذا القول، ولكن ارجع إلى كتب العقيدة كشرح الطحاوية وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم فإن فيها بياناً شافياً.

ثم إن كلمة عمانوئيل قيلت أيضاً في ابنٍ لأشعياء انظر اشعياء (٨/ ٣)، فلو كانت تعني الألوهية للمسيح لكانت في الوقت نفسه تعني الألوهية لابن أشعياء كذلك، فكما أنها ليست اسماً لابن أشعياء فكذلك هي ليست اسماً للمسيح، وللتوسع في شرح هذا الأمر انظر كتاب الأستاذ عبد الكريم الخطيب «الْمَسِيح في القرآن والتوراة والإنْجِيل صفحة (١٧٨)».

٩- يوحنا (٩/١٤) قول الْمَسِيح لفيلبس تلميذه: «من رآني فقد رأى الأب».

بمعنى أن من يرى الْمَسِيح فإنَّما يرى الله وكما قدمنا لك كلام الأستاذ عوض سمعان قبل قليل قلت:

هذه الفقرة لا تدل على ألوهية الْمَسِيح ولا على أنه هو الله، ولا حُجَّة لهم بها البتة، وذلك لسببين:

أ- أن رؤية الله في الدنيا ممتنعة وغير ممكنة، ففي إنْجِيل يوحنا (١/ ١٨): «الله لم

يره أحد» وفي رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس (٦/ ١٦): «الله لم يره أحد ولن يقدر» ففي هذين النصين نفي قاطع لرؤية الله في الدنيا، بينما كان الْمَسِيح بينهم يراهم ويرونه يجادلهم ويجادلونه ويأكل ويشرب معهم، فلو كان الْمَسِيح هو الله فكيف أمكنهم رؤيته؟!.

سيقولون إن الذي كان بينهم هو الناسوت (الجسد)!! قلنا: أليس الله مثلث الأقانيم عندكم؟؟ والجسد هو الأقنوم الثاني منه وبالتالي هو إله أيضاً بل هو جزء من الله بموجب تثليثكم، فنفي رؤية الله في الدنيا نفي لرؤية أي جزء كان منه أو أي أقنوم، ويقتضي ألاّ يكون الْمَسِيح بينكم حتى بحسب طبيعته الناسوتية ما دام الْمَسِيح هو الأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي الذي تؤمنون به أنتم.

إما أن تكون النصوص الواردة في عدم رؤية الله في الدنيا محرفة، وهذا لا يمكن فقد صادقت عليها كل المجامع الكنسية التي عقدت، ولم يعترض عليها فرد واحد من كل علماء اللاهوت، من زمن كتابة رسائل العهد الجديد والى يومنا هذا وكل الفرق النَّصرانية التي انشقت عن الكنيسة الأم انتقدت نصوصاً من الكتاب المقدس بله أسفاراً بكاملها واعترضت عليها واعتبرتها مزورة ومحرفة، ولكنها ما اعترضت يوماً على هذه النصوص التي نحن بصدد الحديث عنها فهي ثابتة ومن صلب العهد الجديد، وإما أن يكون كلامكم وفهمكم لنصوص العهد الجديد خاطئاً، وهذا هو الحق والله، كما سيظهر لك من خلال حديثنا هذا.

ب- قال الأستاذ ديدات في مناظرته مع شورش في ألوهية الْمَسِيح:

[إن قول الْمَسِيح من رآني فقد رأى الأب، لا يراد به الإبصار بالرؤية، لا وإنَّما معناه إذا فهمتم من أنا، فقد فهمتم الأب، ولذلك كان يسوع يردد دائماً: «مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون» فالابصار لا يراد به الرؤية بالعين لا، وإنَّما إذا فهمتم من أنا فقد فهمتم الآب، وقد قال يسوع: «لم تسمعوا صوت الله ولا أبصرتم هيئته»].

قال أبو مريم الأثري، -عفا الله عنه-: إن ما أشار إليه شيخنا ديدات حقٌّ وصواب، فقد جاء في إنْجِيل يوحنا (٨/ ١٨): «لستم تعرفونني أنا ولا أبي لو عرفتموني لعرفتم أبي».

١٠- يوحنا (٨/٥٨): «الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن».

ظاهر الكلام أن يسوع موجود قبل أن يُخلق إبراهيم عليه السلام مما يدل على ألوهيته!!.

وهذا خطأ لأن اليهود والنَّصَارَى والمسلمين يقرون جميعاً أن الْمَسِيح ولد بعد إبراهيم بدهور والأناجيل الأربعة تصرح بذلك ومن طالع نسب الْمَسِيح الوارد في الاصحاح الأول من إنْجِيل متى والاصحاح الثالث من إنْجِيل لوقا رأى ذلك بعينه، ثم لو كان النص المتقدم دليلاً على ألوهية الْمَسِيح، فإن سليمان أولى بهذه الألوهية منه فقد جاء في سفر الأمثال (٨/ ٢٠) عن سليمان قوله: «الرب أفناني منذ القدم مُسِحت... أبدئتُ إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد.....لما ثبّت السموات كنت هناك أنا عنده صانعاً» فإذا كان الْمَسِيح موجوداً قبل خلق إبراهيم فإن سليمان موجود قبل خلق السموات والأرض بل إنه كان هناك صانعاً كما أشار إلى ذلك النص المتقدم، فلو قارنّا بين النصين لوجدنا أن الفرص المتوافرة لسليمان لترشيحه للألوهية أكثر من الفرص المتوافرة للمسيح، ولا شك أن سليمان ليس له حظ في الألوهية وأن النص الوارد في سفر الأمثال لا بد من تأويله.

فمعنى قول يسوع قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن أي قبل أن يُخلق إبراهيم أنا في علم الله نبي ومثله ما جاء عن نبينا ﷺ إذ قال: «كُتبتُ نبياً وآدم بين الروح والجسد» وفي رواية «كنتُ نبياً...»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن أبي عاصم وهو حديث صحيح، انظر السلسلة الصحيحة (١٨٥٦) والسنّة لابن أبي عاصم.

١١- يوحنا (٢٣/٨): «أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق».

قالوا ما دام هو من فوق (أي من السماء) فلا بد أن يكون إلهاً!!.

قلت: هذا لا يدل على ألوهيته لا من قريب ولا من بعيد، ولو كان هذا دالاً على ألوهيته، فإن تلامذته آلهة أيضاً فقد خاطبهم المسيح نفسه كما في يوحنا (١٥/ ١٦).. «لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم فلذلك يبغضكم العالم».

فما داموا ليسوا من العالم فمن أين إذن؟ لا بد أن يكونوا من السماء، وعندئذٍ يستوون في الألوهية مع يسوع وهذا لا يمكن إذ التلاميذ ليسوا إلاّ بشراً مثلهم مثل الْمَسِيح وغيره فمعنى قوله أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق، خطابه لليهود أن أخلاقكم هي أخلاق أهل الأرض وتصرفاتكم كذلك وهي مشينة، أما أنا فإن أخلاقي عليا سامية كما يحبُّ ربِّي ويرضى.

١٢- متى (١٩/٢٨): قول يسوع لتلاميذه: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس».

قالوا: ساوى يسوع بينه وبين الأب الذي هو الله فلا بد أن يكون إلهاً إذنْ!!.

قلت: لا حُجّة لهم بهذا النص لسببين:

أ-أن نهايات الأناجيل غالباً ما تكون الحاقية ليست موجودة ضمن النص الأصلي، فمثلاً أنكر علماء اللاهوت الاصحاح الأخير من إنْجِيل يوحنا كما بيّنا ذلك في رسالتنا (إقامة الدليل على تحريف الإنْجِيل) المنشورة في العدد الخامس من مجلة الحكمة الغراء، وكذلك الفقرات من (٩-٢٠) من الإصحاح الأخير من إنْجِيل مرقس، وقد بيّنا ذلك في الرسالة نفسها.

ب- إن هذا القول يخالف قول الْمَسِيح عندما قال لتلاميذه كما في متى (١٠/ ٥): «إلى طريق الاممين لا تنظروا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» فخصص دعوتهم وعملهم في بيت إسرائيل فقط، بل أكد هو أنَّه نفسه لم يُرسلْ إلا خراف بيت إسرائيل الضالة، ولذلك جاء في متى (١٥/ ٢٤) قوله للمرأة الكنعانية: «إني لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» ثم كرر القول بعد ذلك فقال لها «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» فسمى خراف بيت إسرائيل الضالة (البنين) واعتبر الأمم الأخرى (كلاباً) فإذا كان قد خصص دعوة التلاميذ وعملهم في خراف بيت إسرائيل الضالة فقط، وبيّن هو أنَّه لم يُرسلْ إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة فكيف ينقض كلامه هذا ويأمرهم بدعوة جميع الأمم؟!.

١٣- يوحنا (٣/١٣): ((ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الله الذي في السماء)).

قالوا: صعوده إلى السماء ونزوله منها دليل على أُلوهيته!!

قلت: لو كان هذا دليلاً على الألوهية فإن كلاً من أخنوخ وإيلياء أيضاً آلهة، فإنهما قد سبقا يسوع في الصعود إلى السماء، فقد نص على صعود اخنوخ سفر التكوين (٥/ ٢٤) ونص على صعود إيلياء سفر الملوك الثاني (٢/ ٢) من النسخة العبرانية وهي التي يُقسم عليها البروتستانت والأرثوذكس والسبتيون وطائفة من الكنيسة المرقسية أي أقباط مصر، والنص نفسه في سفر الملوك الرابع (٢/ ٢) من النسخة اليونانية، والمعروفة بالترجمة السبعينية وهي التي يقسم عليها الكاثوليك، فإن سفري صموئيل الأول والثاني من النسخة العبرانية هما سفرا الملوك الأول والثاني في اليونانية وأما سفرا الملوك الأول والثاني في العبرانية فهما سفرا الملوك الثالث والرابع في النسخة اليونانية.

١٤- ميلاده المعجز: قالوا: إن ميلاده المعجز- أي بدون أب- دليل على أُلوهيته.

قلت: لو كان ميلاده بهذه الصورة دليلاً على أُلوهيته، فإن آدم أولى بها منه، فإنه ولد بلا أب ولا أم أيضاً، سيقولون: إن آدم خلق من تراب أما يسوع فإنه ولد من

عذراء، قلت: في رسالة بولس إلى العبرانيين (٧/ ٣) في معرض كلامه عن ملكي صادق كاهن ساليم قال: «لأن ملكي صادق هذا بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداية أيام له ولا نهاية حياة المشبَّه بابن الله العلي».

نلاحظ هنا أن يسوع بلا أب، أما ملكي صادق فإنه بلا أب وبلا أم أيضاً، يسوع كان له نسب كما في الإصحاح الأول من إنْجِيل متى والإصحاح الثالث من لوقا، أما ملكي صادق هذا فإنه بلا نسب، يسوع كانت له بداية أيام حيث ولد في المذود (الأسطبل) أما ملكي صادق فإنه لا بداية أيام له، مما يعني أنه أزلي (هكذا يبدو من كلام بولس عنه)، يسوع كانت له نهاية حياة هي تلك النهاية الشنيعة قتلاً على الصليب، أما ملكي صادق فإنه لا نهاية حياة له، فبالمقارنة بين الاثنين؛ أيهما مرشح للألوهية؟! إن كان الميلاد المعجز دليل الألوهية فإن ملكي صادق مرشح للألوهية، وفرص ترشيحه أكثر من فرص ترشيح الْمَسِيح كما تقدم بيانه، فلماذا لا يعبدون ملكي صادق بدلاً من الْمَسِيح؟! ولماذا لا يتخذونه إلهاً بدلاً من الْمَسِيح؟! ولكن ملكي صادق هذا ليس له شيء أو حظ في الألوهية رغم كل هذه المميزات التي يتمتع بها، والتي يمتاز بها على الْمَسِيح، فإن الْمَسِيح من باب أولى ألاّ يكون له حظ في الألوهية، فلا يوجد سبب واحد أو ميزة واحدة ترفعه إلى مقام الألوهية كما تقدم وكما يأتي، إن شاء ربِّي جلَّ وعلاً.

١٥- الْقِيَامَة من الأموات: قالوا: إن أكبر دليل على أُلوهية الْمَسِيح قيامه من الأموات!!.

قلت: سُئل يسوع كما في متى (٢٢/ ٢٣) عندما جاء إليه صَدُّقيّون[1] قائلين: يا معلم! قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلاً لأخيه فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات، وإذا لم يكن له نسل ترك امرأته

(١) الصدُّقيّون فرقة من اليهود لا تؤمن باليوم الآخر ويقولون ليس هناك قيامة ولا حساب.

لأخيه وكذلك الثاني والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً؛ ففي الْقِيَامَة لمن من السبعة تكون زوجة؟ فإنها كانت للجميع.

فأجاب يسوع وقال لهم: «تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم في الْقِيَامَة لا يزوَّجون ولا يتزوجون بل كملائكة الله في السماء يكونون»، فبيَّن لهم الْمَسِيح في هذا النص أن الذين يقومون من الأموات، فإن أجسامهم تكون روحانية كملائكة الله في السماء، ولا شك أن يسوع كان كذلك عند قيامته من بين الأموات (إذا كان قد صُلب فعلاً ودفن وقام من الأموات) ولكن إِنْجِيل لوقا يبين لنا ظهور الْمَسِيح لتلاميذه بعد أن قيل لهم إنه صُلب ومات ودُفن، ظهر الْمَسِيح للتلاميذ ودخل عليهم كما في لوقا (٢٤/ ٣٦): «فخافوا وجزعوا وظنوا أنهم يرون روحاً، فقال لهم (يسوع) ما بالكم مضطربين، ولِمَ ثارت الأوهام في نفوسكم؟ تظنون أنكم ترون روحاً؟! أنا هو بنفسي، جُسّوني، جسّوا يديَّ جسّوا رجليَّ، إن الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي!، قال هذا وأراهم يديه ورجليه غير أنهم ظلوا غير مصدقين من الفرح، فقال لهم هل عندكم شيء يؤكل؟ فأعطوه قطعة من سمك مشوي وشهد عسل، فأكل بمرأى منهم».

إن هذا النص ينسفُ خبر الْقِيَامَة نسفاً، فلو كان يسوع قد قام من الأموات كما يقولون إذاً لكان جسده روحانياً كملائكة الله في السماء حسب ما بيّن هو نفسه عند سؤال (الصدقيّون) له، ولكن لما دخل على التلاميذ (ودخوله هذا بعد أن قيل لهم إنه صُلب ودُفن أي بعد الْقِيَامَة) فإنه دخل عليهم، فظنوا أنهم يرون شبحاً أو روح يسوع فخافوا وجزعوا، ولكنه راح يطمئنهم ويقول لهم: إن الروح ليس له لحم ولا عظم كما ترون لي، أنا يسوع بنفسي جسّوا يديَّ، جسّوا رجليَّ، ثم كشف لهم عن يديه ورجليه حتى يبدد شكوكهم به ويؤكد لهم أنَّه هو حقيقة غير أنهم ظلوا غير مصدقين من الفرح، فأراد أن يزيدهم اطمئناناً فقال لهم: هل عندكم ما يؤكل؟ فأعطوه قطعة من سمك مشوي وشهد عسل فأكل أمامهم، ولا شك أن الأرواح لا تأكل الطعام، كما أنها لا تتزوج حسب النص الإِنْجِيلي الذي أوردناه آنفاً، إنَّما الطعام لبشر حي له

لحم وعظم، حاله كحال أهل الدنيا جميعاً، فلو كان الْمَسِيح قد قام من الأموات كما يقولون ثم دخل على التلاميذ فهل يمكن أن يكون جسده عندئذٍ بلحم وعظم؟ وهل يمكنه أن يتناول طعاماً؟! الجواب لا، لأنه في هذه الحالة يكون كالملائكة في السماء، ولما كان خبر الْقِيَامَة كاذباً فضلاً عن خبر الصَلب، دخل على تلاميذه بهيئته المعروفة عندهم فتناول الطعام كما تناوله معهم في عشائه الأخير، وبذلك يتبَّين لنا حقيقة خبر الْقِيَامَة، وسنزيد هذا الموضوع بياناً فنناقش نصوص الْقِيَامَة في الأناجيل الأربعة في رسالتنا المتعلقة بصلب الْمَسِيح والأخرى (مناقشة قانون الإيمان) وهما قيد التأليف نسأل الله تعالى أن يعيننا على إتمامهما.

١٦- إحياء الموتى:

قال القس إبراهيم لوقا: إن الاعتراف للمسيح بإحياء الموتى إقرار ضمني بلاهوته، إذ أن الاحياء والإقامة من الموتى خاصَّة من خصائص الله، وليس فيها شريك... إلى أن قال:

فنحن إذا قلنا إن الإسلام يُقر لنا بلاهوت الْمَسِيح، لا نكون مفترين إنَّما نجاهر بالحق الذي لا مرية فيه.[(١)]

قلت: لا والله بل جاهرت بالباطل وافتريت الكذب بنص كتابكم المقدس فضلاً عن القرآن، فإن إحياء الموتى إنَّما كان بإذن الله وهذا واضح في القرآن الكريم وضوح الشمس والحمدلله، ولكننا نريد أن نبيّن أن هذا الأمر في كتابهم المقدس هو أيضاً بإذن الله حتى لا تبقى لهم حُجَّة، ولا يبقى لهم متعلق، فالذي يظهر لنا من أمر القوم أنهم لا يفهمون حتى كتابهم المقدس، فكيف يفهمون القرآن؟! نحن نُسلّم لهم بألوهية الْمَسِيح في هذه النقطة إن استطاعوا أن يثبتوا لنا أمرين من خلال نصوص كتابهم فقط:

(١) «الْمَسِيحية في الإسلام»، ص١٥٩.

أ- أن يكون قد انفرد بهذا العمل، ولم يسبقه به أحد!!

ب- أن يكون الْمَسِيح قد أحيا الموتى بقوته هو وقدرته هو!!

ولكن هيهات...هيهات!! إن الكتاب المقدس يخبرنا أن الْمَسِيح لم ينفرد بهذا العمل، فقد سبقه به عدد من الأَنْبِيَاء، منهم إيلياء الذي أحيا صبياً هو ابن الأرملة التي نزل عندها، انظر سفر الملوك الأول (١٧/ ٢٠) من العبرانية، وسفر الملوك الثالث (١٧/ ٢٠) من النسخة اليونانية.

وكذلك اليشع هو الآخر أحيا صبياً ميتاً كما في سفر الملوك الثاني (٤/ ٣٢) من النسخة العبرانية وسفر الملوك الرابع (٤/ ٣٢) من اليونانية، بل إن ميتاً ألقي في قبر اليشع، فلما مسَّ عظامه قام الميت على رجليه. انظر سفر الملوك الثاني (١٣/ ٢٠) من العبرانية وسفر الملوك الرابع (١٣/ ٢٠) من اليونانية.

وفي سفر حزقيال (٣٧/ ١) وما بعدها: أن حزقيال نزل في بقعة فيها عظام كثيرة جداً، فقال بعض الكلمات، فكُسيت العظام باللحم والعصب والجلد ودخلها الروح، فلما قاموا إذا هم جيش عظيم جداً جداً، فأيهما أشد عجباً؟ ما صنعه يسوع أم ما صنعه حزقيال؟!.

إن يسوع أحيى عدداً من الموتى لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، أما حزقيال فإنه أحيى جيشاً عظيماً جداً جداً، ثم إن يسوع لم يزد على أن أعاد الروح إلى الجسد الذي خرجت منه، أما حزقيال فإنه كسى العظام باللحم والعصب والجلد ثم أعاد إليها الأرواح التي خرجت منها، فأيهما أشد عجباً ما صنعه يسوع أم حزقيال؟ ولو كان هذا دليلاً على الألوهية فأيهما أولى بها يسوع، أم حزقيال؟ لا شك أن ما صنعه حزقيال أشد عجباً مما صنعه يسوع ولو كان هذا دليلاً على الألوهية لكان حزقيال أحق بها من يسوع.

وما صنعه يسوع هل كان بقوته هو وقدرته هو؟ النَّصَارَى يقولون: نعم ونحن نقول لهم لا، وكتابكم (المقدس) هو الشاهد.

لما أحيا يسوع ذاك الميت المسمى بعازر كما في إِنْجِيل يوحنا (١١/ ٤١) قال: «أيها الأب أنا أشكرك لأنَّك سمعت لي، وإني قد علمتُ في كل حين أنَّك تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت: لكي يؤمنوا أنَّك أرسلتني لعازر قم.... ».

انظر قوله «أيها الأب أنا أشكرك لأنك سمعت لي» أي لأنَّك استجبت دعائي، «وإنّي قد علمتُ في كل حين أنَّك تسمع لي» أي في كل معجزة أصنعها أنا أدعوك فتستجيب لدعائي في صنعها، فبيّن أن هذا العمل إنَّما هو بقوة الله وقدرته.

ما هي نظرة التلاميذ إلى معجزات يسوع؟

في سفر الأعمال (٢/ ٢٢) قال بطرس لليهود: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال، يسوع الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب صنعها الله بيديه» ومعلوم أن هذا القول كان بعد الْقِيَامَة (المزعومة) وبعد صعود الْمَسِيح إلى السماء مما يبيّن أن نظرة التلاميذ إليه حتى بعد رفعه إلى السماء على أنه رجل وأن هذه المعجزات والعجائب ليست بقدرته هو ولا بقوته هو لا وإِنَّما صنعها الله بيديه وأجراها على يديه.

ما هي نظرة الشعب إلى أعمال يسوع هذه؟

في إِنْجِيل متى (٩/ ٧) بعد شفاء المفلوج على يد يسوع «فلمَّا رأى الجموع ذلك تعجبوا ومجَّدوا الله الذي أعطى النَّاس سلطاناً مثل هذا» فالجموع والشعب مجَّدوا الله لأنَّهم علموا أن هذه المعجزات والعجائب هي من عند الله، الله تعالى هو الذي تفضل بها وأجراها على أيدي النَّاس (أي الأَنْبِيَاء) انظر قوله: «أعطى النَّاس سلطاناً مثل هذا».

إن الْمَسِيح يؤكد أن هذه المعجزات من عند الله، وليست من عند نفسه، والتلاميذ يقولون: إنها من عند الله، والنَّاس الذين جرت أمامهم هذه المعجزات

يقولون: إنها من عند الله بينما النَّصَارَى اليوم ومنهم إبراهيم لوقا يقولون: إنهـا مـن عند يسوع!، نصدقهم هم أم نصدق يسوع؟ أنصدقهم هم أم نصـدق تلاميـذ يسـوع، أنصدقهم هم أم نصدق النَّاس الذين حضروا هـذه المعجـزات وشـاهدوها بـأعينهم؟ كان على إبراهيم لوقا والحـداد وعـوض سمعـان واسـكندر جديـد وزكريـا بطـرس وغيرهم أن يثبتوا ألوهية الْمَسِيح بنص كتابهم قبل أن يتعرضوا لنصوص القرآن، فإذا فهمت ما تقدم تعلم قيمة كلام إبراهيم لوقا.

١٧- الْمَسِيح كلمة الله:

قالوا: بما أن الْمَسِيح كلمة الله فهو مساوٍ لله، وبالتالي فهو إله، كيف لا وقـد ابتـدأ يوحنا إِنْجِيله بقوله «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عنـد الله وكـان الكلمـة الله» وقال القس الدكتور جورج شماته قنواتي: إن القرآن يقول في عيسى: إنَّه كلمة الله أو روحه، وما كان ليشق على مسيحي تأويل هذه التسميات، ومن هنا نشـأ الاعـتراض الذي وجهه أهل الجدل من الْمَسِيحيين إلى المسلمين من هو الْمَسِيح؟-إنه كلمة الله- فهل هذه الكلمة مخلوقة أم غير مخلوقة؟ إن كانت غير مخلوقـة كـان الْمَسِيح هـو الله (!!) وإن كانت مخلوقة لم يكن الله قبل تولدهـا ذا كلمـة وروح، وبكـلام آخـر: كـان الْمَسِيحيون يستخدمون البرهان بالكلمة المخلوقة أو غير المخلوقة لـيرغموا المسـلمين على الاعتراف بلاهوت الْمَسِيح، فاضطر المسلمون إلى الإجابة.[1]

قبل أن نتحدث عن كون الْمَسِيح كلمة الله لا بد لنا أن نقف وقفة لطيفة عند قول هـذا الدكتـور «إن الْمَسِيحيين كـانوا يرغمـون المسـلمين علـى الاعـتراف بلاهـوت الْمَسِيح».

كنّا نود لو أن هذا الدكتور الذي أمضى نصف قـرن مـن الزمـان بدراسـة الـتراث

(١) الْمَسِيحية والحضارة العربية، ص٩٨.

الفلسفي والعلمي واللاهوتي للعرب والمسلمين (كما جاء على غلاف كتابه هذا) أن يذكر لنا ولو حادثة واحدة استطاع فيها نصراني أن يرغم مسلماً على الاعتراف بلاهوت الْمَسِيح، من خلال هذه المدة الطويلة التي قضاها هذا الدكتور بين كتُب التاريخ والفلسفة والعلوم وغيرها بحثاً وتنقيباً.

إن كتب التاريخ والفلسفة والعلوم الأخرى تثبت لنا العكس، لم تكن هناك مناظرة في التاريخ بين المسلمين والنَّصَارَى إلاّ وكانت الغلبة فيها للمسلمين، والهزيمة المنكرة للنَّصَارَى.

لما كتب الإمام أبو محمّد بن حزم الفصل المتعلق بالنَّصَارَى في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» فمن من النَّصَارَى استطاع أن يرد على ما جاء فيه؟!.

لما ألف بولس الراهب بطريرك أنطاكية رسالته التي وردت من قبرص والتي تتعلق ببعض الآيات الكريمة التي زعم أنها تؤيد عقيدتهم، وتثبت صحة ديانتهم، رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في أحد أروع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وهو كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين الْمَسِيح» فمن استطاع أن يرد على ما جاء في هذا الكتاب؟!.

لما عقدت المناظرة التاريخية العظيمة بين الشيخ الإمام رحمة الله الهندي والقس فندر أشهر القسيسين في زمانه انسحب فندر من المناظرة قبل إتمام الموضوعات التي اتفقوا على مناقشتها في تلك المناظرة، بعد أن أفحمه الإمام رحمة الله في الموضوعين الأولين.

في يومنا هذا عشرات المناظرات، مناظرة الخرطوم عام ١٩٨٠، مناظرات الشيخ ديدات مع أشهر القسيسين في العالم، مناظرات الأستاذ محمّد حسن عبد الرحمن وغيرها كثير ما هو مُعلَن وما هو غير مُعلَن، فمن من هؤلاء المسلمين جميعاً أقرَّ بلاهوت المسيح كما زعم هذا الدكتور؟!.

إن كلاماً ككلام هذا الدكتور يجب أن يُدعم بألف دليل ودليل، ولكن هذا الدكتور رغم كل هذه السنوات التي أمضاها في الدراسة والبحث والتنقيب والتي بلغت

خمسين سنة لم يجد بين ثنايا مئات المصادر التي يفترض أن يكون قد قرأها خلال هذه المدة الطويلة، أقول لم يجد المسكين دليلاً واحداً يُدعم به كلامه ويثبت صدقه، فماذا نستنتج؟!!.

أما ما يتعلق بقول يوحنا (١/ ١): «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله».

أقول: إن عبارة يوحنا هذه لا تستقيم لغوياً، ففي البداية كانت الكلمة موجودة، أي أنَّها أوَّل موجود، ثم إن هذه الكلمة التي كانت أوَّل موجود كانت عند الله!! ولا أدري كيف تكون هذه الكلمة أوَّل موجود ثم تكون عند الله، فالمقطع الأول يبيّن أن الكلمة كانت وحيدة أي موجودة وحدها، لكن المقطع الثاني كذّب ما في المقطع الأوَّل فبيّن أن الموجود الله والكلمة!! فأي المقطعين هو الصحيح؟! صبراً... صبراً، فإن المشهد لم يتم بعد، المقطع الثالث يقول: وكان الكلمة الله!!! ما هذا؟ في البداية كانت الكلمة، وهذه الكلمة كانت عند الله، ثم صارت هذه الكلمة الله؟! أمعقول هذا؟!!! الكلمة التي كانت عند الله؛ تحولت فصارت هي الله!! كيف تكون عند الله ثم تصير هي الله؟! هل يُقبل هذا الكلام عند العقلاء؟ هل هناك بشر على وجه الأرض يقبل هذا الكلام؟! جزماً وبكل ثقة أقول: لا.

ولكن النَّصَارَى يقبلونه، لا بل يؤمنون به ويعتبرونه من أقوى الأدلة على إثبات عقيدتهم!!.

يقول العلاَّمة الجليل القس السابق إبراهيم خليل فيلبس أشهر القسيسين في مصر، بعد أن هداه الله تعالى للإسلام:

إن قول يوحنا: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله».

إن هذه (الكلمة) التي يتحدث عنها يوحنا معناها في الأصل اليوناني (لوجس). كلمة لوجس اليونانية هذه لها في اللغة العربية أربع مرادفات هي: الكلمة، الأمر، العهد،

الخبر، وكلها تعني قدرة الله، وأنَّه إذا أراد شيئاً فإنَّما يقول له كن فيكون.[1]

قال أبو مريم الأثري عفا الله عنه: صدق هذا العلامة الجليل رحمه الله حياً أو ميتاً، فقد جاء في المزامير (١٤٧/ ١٥) «يرسل كلمته سريعاً يجري قوله»، قال الدكتور وليم باركلي أستاذ العهد الجديد في جامعة كلاسكو:

«إن كلمة الله قوة جبارة تخلق كل شيء من لا شيء».[2]

إن عبارة يوحنا المشار إليها لا تستقيم لغوياً، فإما أن يكون قد حُذف منها شيء، أو أن الترجمة غير صحيحة، وليست مطابقة للأصل، أو أن العبارة صيغت بهذا الشكل لتحكي مسألة مقررة قد فُرغ منها سلفاً!!.

كلمة الله يختلف معناها ومفهومها بين المسلمين والنَّصَارَى، ففي الإسلام: كلمة الله هي كلمة (كن) قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَمَرْيَمُ إِنَّ الله يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيح عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاس فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ الله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٤٧]. فكلمة الله هي كلمة (كن) وهي فعل أمر يخلق الله تعالى بها ما يشاء، فعندما نقول: إن عيسى عليه السلام هو كلمة الله فهل هو كلمة (كن)؟ الجواب لا، وإنَّما هو الحدث الناتج من الأمر الإلهي الذي هو كلمة كن، فالله تعالى خلق عيسى بقوله (كن) وهي الطريقة عينها التي خلق بها آدم بل وخلق كل شيء.

أما النَّصَارَى فيقولون: إن كلمة الله ليس أقل من الله فهو إذن الله نفسه، يقول

(١) من محاضرة مسجلة على شريط كاسيت يشرح فيه قصة إسلامه ويغلب على ظني أنه ألقاها عام ١٩٧٤.

(٢) «تفسير العهد الجديد»، شرح بشارة يوحنا، (ج١، ص٤٠)، إصدار دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٣، ترجمة د. عزت زكي، مجلس التحرير عدد من الدكاترة والقساوسة.

القس إبراهيم لوقا: «إن من المسلَّم به أن الله أزلي وأن القدم صفة خاصة به وحده جلَّ شأنه كبقية صفاته الحسنى كالعلم والحياة والكلام، فكل ما يتعلق بذات الله فهو أزلي غير محدث، فلا بد أن يكون كلمة الله أزلياً، وهذا واضح من قول القرآن ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] أي أن هذه الكلمة كائن قبل أن يلقى إلى مريم...فإذا ثبت أن الْمَسِيح أزلي لأنه كلمة الله، وثبت أنه لا أزلي سوى الله وجب أن يكون الْمَسِيح هو ذات الله جلَّ شأنه وهذه نتيجة لازمة لا مفر من التسليم بها».(١)

هذا هو كلام إبراهيم لوقا بنصه وفصه، بعد أن رد أقوال المفسرين أمثال الرازي والبيضاوي والجلالين وخطَّأهم، ولا شك أن هذا القس المبجل قد نسف بكلامه هذا كتابه المقدس قبل أقوال المفسرين، كما سيتضح لك بعد قليل إن شاء الله، فلكي نقيم الحُجَّة عليه وعلى أمثاله لا بد لنا من الرجوع إلى الكتاب المقدس لنرى ما هي كلمة الله وما المراد بها؟(٢) ولنرى كذلك ما هو مستند إبراهيم لوقا وجورج قنواتي في تأويلاتهم، أهي نصوص القرآن؟ أم هي نصوص الكتاب المقدس؟ أم هي أهواء النفس ووسوسة الشيطان؟!.

جاء في سفر المزامير (٣٣/ ٦): «بكلمة الله صُنعت السموات والأرض وبنسمة فيه كل جنودها».

فهذا النص يبيّن لنا أن السموات والأرض وكل جنودها صُنعت بكلمة الله، وكلمة الله هذه هي نسمة فيه أي الكلمة التي تحدث الله تعالى بها.

وفي رسالة بولس إلى العبرانيين (١١/ ٣): «بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله».

---

(١) «الْمَسِيحية في الإسلام»، ص١٢٥.

(٢) كلمة الله عند النَّصَارَى يُراد بها عيسى عليه السلام ولذلك سيلاحظ القارئ الكريم أن القس إبراهيم لوقا يتحدث عن كلمة الله على أنها مذكر وليس مؤنثاً.

وهذا النص هو الآخر يبيّن لنا أن العالمين خُلقت وصُنعت وأتقنت بكلمة الله.

وفي رسالة بطرس الثانية (٣/ ٥): «السموات كانت منذ القديم والأرض بكلمة الله قائمة».

وهذا النص الآخر يبيّن لنا كذلك أن السموات والأرض وما فيهما قائم ومصنوع ومخلوق بكلمة الله.

ما هي إذن كلمة الله هذه التي صُنعت بها السموات والأرض وقامت بها منذ القديم، وأتقن الله بها العالمين؟

عندما نقرأ الصفحة الأولى من الكتاب المقدس وأعني الإصحاح الأول من سفر التكوين، نجد كيف خلق الله الكون ونجد الكلمة التي خلقه بها: «وقال الله ليكن نور فكان نور... وقال الله ليكن جلد في وسط المياه وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. ».

فخلَق السموات والأرض وما فيهما هكذا انظر الإصحاح الأول من سفر التكوين.

فكلمة الله التي تحدث عنها الكتاب المقدس هي (ليكن) الفعل المضارع المقترن بلام الأمر، وهذا يوافق بالضبط ما يقوله القرآن، أنَّ كلمة الله هي (كـن) وأن الله إذا أراد شيئاً إنَّما يقول له كن فيكون، فالكلمة التي يتحدث عنها الكتاب المقدس ليست شخصاً أو ذاتاً قائمة بنفسها، كما يزعم إبراهيم لوقا وزمرة المبشرين، لا، وإنَّما هي كلمة (كن) أو (ليكن) التي يخلق الله بها كل شيء فلها قوة جبارة تخلق كل شيء، من لا شيء حسب قول الدكتور وليم باركلي.

وأما قول إبراهيم لوقا أن الله أزلي... وأن كلمة الله لا بد أن يكون أزلياً... وجب أن يكون الْمَسِيح هو الله، إنَّما هو شطط ذلك القس المبجل، جعل المضاف إليه عين المضاف، مع أن الفرق بينهما كفرق ما بين السماء والأرض، وهو مناقض لنصوص الكتاب المقدس ففي سفر المزامير (٣٣/ ٦): «بكلمة الله صُنعت السموات والأرض

وبنسمة فيه كل جنودها». فبموجب هذا النص أن كلمة الله هي النسمة الخارجة من فيه، فكيف تكون هذه النسمة هي عين ذات الله؟! ولعل النص الحاسم لهذا الشطط والقاطع لهذه الأهواء ما جاء في سفر أشعياء (٥٥/ ١١): «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي، لا ترجع إليَّ فارغة بل تعمل ما شئتُ، وتنجح فيما أرسلتها له». فالربّ يبيّن هنا أن كلمته تعمل كل شيء أراد الله خلقه ثم يبين لنا أن هذه الكلمة تخرج من فمه[1] تعالى فكيف تكون كلمته التي خرجت من فمه هي عين ذاته؟؟!!.

ثم إن كلمات الله لا نهاية لها﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾ [الكهف: ١٠٩].

فلو كانت كلمة الله هي عين ذات الله كما يدعي الايغومانس إبراهيم لوقا، لوجب أن تكون كل كلمة من كلمات الله التي لا نهاية لها هي عين ذات الله، إذا استخدمنا لغة هذا القس المبجل.

كيف حملت السيدة مريم بالْمَسِيح عليه السلام؟

أ- قال الله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]. ذكر غير واحد من السلف أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها- وجيب درعها هو فتحة القميص العليا المقابلة للصدر، فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند الجماع من زوجها، هذا بموجب ما ورد في تفسير القرآن.

ب- أما في الإنْجِيل ففي إنْجِيل لوقا (١/ ٣١) قول الملاك لمريم: «ها أنت

(١) قد يلاحظ القارئ أن بعض النصوص الإنْجيلية أو بعض الأقوال التي نوردها هنا تخالف عقيدتنا السلفية الصافية أو تكون قدحاً فيها، فإنَّما نوردها من كتب القوم لنقيم الحُجَّة عليهم، وليس لأننا نؤمن بها، فقد يقول المرء قولاً، ولا يلزم أن يكون مؤمناً به كما ينقل الكفر ولا يلزم أن يكون كافراً، وقد قيل: ناقل الكفر ليس بكافر.

ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع..... فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها: الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك».

فقوله الروح القدس يحل عليك، ظاهر الكلام يعطي معنىً سيئاً... كيف يحل عليها الروح القدس؟! فلا شك أن العرض القرآني لهذه المسألة فيه قمة الأدب، ولا يوقع القارىء في ظنون وتخيلات ومتاهات، هو في غنىً عنها، بخلاف النص الإِنْجِيلي.

فهذه هي كلمة الله كما وردت في القرآن وفي الأناجيل، فهل فيها أي تلميح لألوهية الْمَسِيح؟ وهل يمكن لإنسان عاقل أن يشم فيها رائحة لاهوت الْمَسِيح؟ عرضناها بكل أمانة وعرضنا كل النصوص المتعلقة بالموضوع لأن بعضها يفسر بعضها الآخر، ولا يمكن لنا إن أردنا أن نتوصل إلى الحقيقة أن نجتزئ نصاً ونفسره كما نشتهي، بل لا بد من عرض كل النصوص حتى تظهر لنا الحقيقة، وحتى يظهر لنا بجلاء ما المراد بقولنا (كلمة الله).

فما مستند إبراهيم لوقا والدكتور قنواتي والحداد وكل المبشرين الذين يتحدثون عن كلمة الله؟ هل استندوا على آية من كتاب الله؟ هل استندوا على فقرة من الأناجيل؟ أم استندوا على ما اشتهته أنفسهم؟ لا شك أن الأخير هو مستندهم.

١٨- الْمَسِيح عقل الله :

مصطلح يستخدمه النَّصَارَى كثيراً يقول الحداد: «فالْمَسِيح هو ابن الله....أي فكر الله الجوهري.... أو نطق الله الجوهري» ثم يقول معقباً: «فهل يمكن أن يكون الله بدون عقل؟ وهل يكون عقله إلا غير محدود كذاته؟ ». ثم يخوض في شرح هذه النظرية العجيبة التي تخيلها إلى أن قال: «فكلمة الله أو نطق الله الصادر من القوة العاقلة في الله هو في وضع، يشبه عند البشر وضع ابن من أبيه وفي علاقة روحية

وبنوة عقلية تشبه فينا ولادة الفكر من العقل». بعد ذلك يطلع علينا بنتيجة يراها لازمة لتصوره هذا فيقول: «فليس في ذلك إذن رفع مخلوق إلى صفة الخالق ولا حط الخالق إلى درجة المخلوق، بل هو تفاعل روحي وتسلسل عقلي بل هو ولادة روحية وبنوة عقلية في الذات الإلهية الواحدة».(1)

إن هذا الكلام الذي قاله الحداد هو خوض في ذات الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وليس له مستند لا من عقل ولا نقل، وليس له حتى في الكتاب المقدس دليل يؤيده.

يقول بولس في رسالته الأولى إلى كورنتوس (١١/ ٣): «رأس كل رجل هو الْمَسِيح ورأس الْمَسِيح هو الله».

فإذا كان الله رأس الْمَسِيح -على حد قول بولس- فكيف يكون الْمَسِيح هو عقل الله؟! إن كلام بولس هذا ينسف ما قاله هذا الحداد، وإن كان في حقيقته مخالفاً لعقيدتنا الإسلامية الصافية-.

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب: [يقول ول ديورنت: وكان بطليموس قبله -أي قبل يوحنا- قد نشر تلك العقيدة الخطيرة القائلة: (إن أفكار الله هي النمط الذي شكلت بمقتضاه الأشياء كلها)... ثم جمع الرواقيون هذه الأفكار المألونة (فكرة الله المحض) ثم جَسَّد الفيثاغوريون الجدد هذه الأفكار فجعلوها شخصاً قدسياً ثم استحالت على يد فيلون-الفيلسوف اليهودي- إلى عقل الله، أي إلى عنصر ثان به يخلق الله الخلق ويتصل بالعالم].(2)

---

(١) «الإنجيل في القرآن»، (جـ١، ص٣٧٤)، والأستاذ الحداد في الحقيقة هو اسم مستعار لهيئة علمية نصرانية، إذ يستحيل أن تكون مادة الكتاب من نتاج شخص واحد وكذلك هناك تباين في الأسلوب بين موضوع وموضوع.

(٢) «الْمَسِيح في القرآن والتوراة والإنجيل»، ص١٢٨، وهو كتاب ممتاز.

ونتقل الآن استدلالاتهم بالآيات القرآنية الكريمة، ننقلها من كتاب الْمَسِيحية في الإسلام لإبراهيم لوقا، وقد قدم أدلة كثيرة أوردناها فيما تقدم ونتناول الآن ما تبقى منها.

١٩- كمال الْمَسِيح الأدبي:

قال إبراهيم لوقا: لقد سجل القرآن على جميع الأَنْبِيَاء سقوطهم في الشر المبين خلا الْمَسِيح وحده، فقد أقرَّ له بالعصمة والتنزيه.... ثم نقل عن نوح عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾ [نوح: ٢٨]. فقد أثبت عليه الاستغفار ولا يستغفر إلاّ آثم، وعن إبراهيم كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا يـاإِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَـذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُواْ يِنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. وسجل على موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]. وشهد على داود بسقوطه العظيم في استغفاره: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٥].

فقد سجل القرآن على أفاضل النَّاس وخيرة الأَنْبِيَاء والمرسلين إرتكاب الأوزار وإتيان الخطايا. ثم بعد ذلك يخرج القس لوقا بنتيجة يلزم بها تصوره هذا فيقول: فإذا كان الإسلام قد أقرَّ للمسيح بأنه هو الواحد الأحد الذي عاش منذ مهده بريئاً من كل إثم نقياً من كل دنس كاملاً معصوماً في الوقت الذي حكم على جميع البشر بما فيهم الأَنْبِيَاء والرُسل بالسقوط والتدنس، فإذا كان هذا مركز الْمَسِيح في الإسلام وإذا ذكرنا أن العصمة لله وحده.... فهل نخطئ حين نقول أن الإسلام، يقرُّ للمسيحية بصحة عقيدتها عن لاهوت الْمَسِيح؟.

وجواباً على هذه المغالطات أقول:

نعم إن القرآن يُعطي الْمَسِيح منزلة رفيعة بخلاف الأناجيل التي تكيل الطعن

والسباب للمسيح عليه السلام وتجعله ملعوناً كما في رسالة بولس إلى غلاطية (٣/ ١٣): «إن الذي افتدانا من لعنة الناموس يسوع الْمَسِيح إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون من عُلّق على خشبة» وتجعله شريب خمر ومُحبّاً للخطاة والعشارين كما في إِنْجِيل لوقا (٧/ ٣٣): «جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب قلتم هوذا إنسان أكول وشريب خمر مُحبّ للعشارين وللخطاة». وتُقرُّ الأناجيل أن الْمَسِيح أهان أمّه كما في إِنْجِيل يوحنا (٢/ ١) عندما قال لها زاجراً ومُعنّفاً: «ما شأني بك يا امرأة» بل وناكراً لها ولفضلها، فإذا استخدمنا لغة الكتاب المقدس يكون الْمَسِيح كذلك قد أخطأ ووقع بما وقع فيه هؤلاء الأَنْبِيَاء الذين افترى عليهم إبراهيم لوقا، فلا يكون عندئذٍ أهلاً للأُلوهية بموجب الكتاب المقدس.

إن القرآن الكريم عندما يُعطي الْمَسِيح منزلة رفيعة، هل يرفعه بها إلى مقام الألوهية؟ لا والله ما الْمَسِيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وإن هو إلاّ بشر ككل البشر، كان يأكل الطعام كما هو مبين في آيات كثيرة من القرآن الكريم ولا يوجد نص واحد يدل على ألوهيته في الكتاب المقدس فضلاً عن القرآن. فكون الْمَسِيح معصوماً من الخطايا لا يرفعه إلى مقام الألوهية[1].

أما قوله: إن القرآن قد سجل على الأَنْبِيَاء الخطايا والوقوع في الشرّ المبين؛ أقول: إن هذا الكلام ليس فيه شيء من الصحة، ذلك أن الأَنْبِيَاء معصومون من الكبائر ومن الأفعال الذميمة والأعمال المنكرة، بل إن كتابكم (المقدس) هو الذي يتهم الأَنْبِيَاء سلام الله عليهم جميعاً، يتهمهم بكل عمل منكر، فيتهم نوحاً عليه السلام بشرب الخمر وانكشاف عورته، ويتهم لوطاً بشرب الخمر والزنى بابنتيه، ويتهم داود بالزنى بزوجة أحد أتباعه، ويتهم غيرهم من الأَنْبِيَاء -برَّأهم الله مما يفتري الظالمون- يتهمهم بأعمال يترفع عنها إنسان بسيط فضلاً عن نبي، لا بل هناك ما هو أدهى وأمرُّ فكتابكم (المقدس!!) حوى كلاماً لا يليق بالله تعالى، ففي سفر الملوك الأول

(١) انظر رسالتنا «القول الجميل في نفي ألوهية الْمَسِيح وإثبات نبوته بصريح الإِنْجِيل».

(١٧/ ٢٠) من العبرانية أن إيلياء النبي يخاطب الربَّ جلَّ وعلاً ويقول له: «قد أسأت!! »، وفي سفر التكوين كيف أن الربَّ يصارع يعقوب حتى مطلع الفجر ويعجز عن صرعه!!! وقد بينا نبذة من ذلك في رسالتنا «إقامة الدليل على تحريف التوراة» المنشورة في العدد الرابع من هذه المجلة، وأما الخطايا التي زعم أن القرآن سجلها على الأَنْبِيَاء، فذنب نوح عليه السلام هو دعوته على قومه، وهذا مبين في حديث الشفاعة الطويل، والحديث عند البخاري ومسلم وغيرهما.

وأما قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. قال مجاهد: يعني بخطيئته قوله للقوم عند كسره للأصنام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ قلت: يريد بذلك أن يقيم الحُجَّة عليهم أن من لا ينطق كيف يُعبد من دون الله؟! وأن من لا يستطيع دفع الضرر عن نفسه ولا الإضرار بمن فعل به ما فعله إبراهيم بتلك الأصنام كيف يُعبد من دون الله؟ ولذلك تنبه بعض القوم ﴿فَرَجَعُواْ إِلَى أَنفُسِهِمْ﴾ فقالوا لأصحابهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتكم لهذه الأصنام.

وأما الضلال الذي يزعم إبراهيم لوقا أن القرآن سجله على موسى عليه السلام فليس هو الضلال الذي بمعنى الكفر، فلو كلف نفسه فراجع أي مرجع كان في اللغة، لعلم أن هذه اللفظة مشتركة، فإنَّها تأتي بمعنى الكفر وتأتي بمعنى التيه، وتأتي بمعنى الجهل بالشيء، فقول موسى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠]. لما قتل موسى القبطي وتذكر ذلك فعلته قال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي من الجاهلين.

وأما ما قاله إبراهيم لوقا بحق داود عليه السلام، أن القرآن شهد على داود بسقوطه العظيم، هذا والله زور وبهتان عظيم إنَّما كان استغفار داود وإنابته لكونه تعجل في الحكم بين الخصمين، فسمع من أحدهما وهو صاحب النعجة الواحدة وحكم له قبل أن يسمع من خصمه إذ قال له: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ [ص: ٢٣]. قال النحاس: إن خطيئة داود هي قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت، فربما كان صاحب النعجة الواحدة هو الظالم، هذه هي الخطايا

التي سجلها القرآن على الأَنْبِيَاء -كما زعم هذا القس- ولو فرضنا أن القرآن سجل هذه الخطايا على الأَنْبِيَاء، فأين هي من الافتراءات التي افتراها الكتاب المقدس عليهم كما قدمنا شيئاً منها؟

٢٠- علم الغيب:

يدعي إبراهيم لوقا أن الْمَسِيح عليه السلام كان يعلم الغيب، ويقول: إن القرآن نص على ذلك كما في: ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٩]، قال القس لوقا: إن النص القرآني مع تفسيره صريحان في أن الْمَسِيح كان يعلم الغيب!!.

قال أبو مريم عفا الله عنه: ما نقول لهذا القس؟

أ- إن كتابكم المقدس نفى أن يكون الْمَسِيح يعلم الغيب، جاء في إِنْجِيل مرقس: (١٣ / ٣٢) قول الْمَسِيح: «.... وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب». ففي هذا النص الإِنْجِيلي الْمَسِيح ذاته ينفي عن نفسه العلم بيوم الْقِيَامَة كما نفاه عن غيره، ويوم الْقِيَامَة من أمور الغيب فلو كان الْمَسِيح يعلم الغيب لعلم متى يكون يوم الْقِيَامَة.

في إِنْجِيل متى (١٩ / ٢٧) التلاميذ سألوا يسوع: «ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا؟ فقال يسوع: متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر»، هذا النص الإِنْجِيلي يبيّن أن الْمَسِيح قال هذا الكلام لتلاميذه ويهوذا الاسخريوطي (الخائن) واحد منهم وهو مشمول بكرسي من هذه الكراسي التي تحدث عنها يسوع، ثم بعد ذلك بمدة انكشف أمر خيانته وطُرد، فهذا النص يبيّن أن يسوع لم يكن يعلم الغيب، ولو كان يعلم الغيب لعلم خيانة يهوذا له قبل ذلك الحين، ولاستثناه من الحصول على إحدى هذه الكراسي ولقال: «تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً

عدا يهوذا»، أو «تجلسون كلكم على كراسي إلاّ يهوذا» فالكتاب المقدس ينفي عن يسوع علم الغيب، فما قيمة كلام إبراهيم لوقا؟! وما مدى صحته؟!.

ب- إن هذا الذي علمه يسوع إنَّما هو شيء يسير جداً، أطلعه الله تعالى عليه كما أطلع غيره على أشياء أخرى كي يكون دليلاً على صدقه وصدق نبوته كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [الجن: ٢٦]. فهذه الأمور التي أخبر عنها يسوع هي باذن الله كما في قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران:٤٩] فبين أن كل هذه الأعمال التي يقوم بها إنما هي بإذن الله، ولكن إبراهيم لوقا يجعل من قوله تعالى ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ دليلاً على علم الْمَسِيح للغيب، فإن كان الأمر كما يزعم وإن علم الْمَسِيح بهذه الأمور التي أخبر عنها يجعل منه إلهاً، فليعلم إبراهيم لوقا إذن أن الألوهية بقصوره هذا لا تختص بالْمَسِيح وحده بل قد سبقه إليها يوسف عليه السلام في قصته مع اللذين دخلا معه السجن كما في قوله تعالى: ﴿لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا﴾ [يوسف: ٣٧]. لكن يوسف عليه السلام أعقب كلامه هذا بقوله: ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فبيّن أن هذا العلم هو مما تفضل الله به عليه، والْمَسِيح كذلك بيّن أن هذا العلم الذي علمه والأعمال التي يفعلها إنَّما هي بأذن الله وليس بأذنه هو وبقدرته هو.

إبراهيم لوقا الذي احتج بهذه الآية، ألم يلحظ فيها قوله تعالى: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أم أنه يجهل ذلك؟

إنه يعلم يقيناً لا استنتاجاً ولكنه أعرض عنها ليلبس على القارئ وليوهمه، كما هي عادة كل القسيسين الذين يكتبون عن الإسلام والقرآن، يعمدون إلى قلب الحقائق وأخذ مقاطع من النصوص، ويبنون عليها ما أرادوا، ولو أنهم عرضوا النص كاملاً لبانت الحقيقة.

صح عن الرسول ﷺ أنَّه قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلاَّ الله، لا يعلم ما في الغد إلاَّ الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلاَّ الله، ولا يعلم ما في الأرحام إلاَّ الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلاَّ الله، ولا تدري نفسٌ بأي أرض تموت إلاَّ الله»، فأين الْمَسِيح من ذلك؟!.

٢١- قوة الخلق:

جاء في قوله تعالى: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ﴾ فهذه الآية احتج بها إبراهيم لوقا ليثبت ألوهية الْمَسِيح، مع أن الحقيقة أن هذه الآية هي الأخرى في سياق حديثه مع بني إسرائيل لإثبات نبوته لهم، ثم إن عمله هذا ليس بقدرته ولا بقوته هو، لا، وإنَّما عقب ذلك بقوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي أن عمله هذا إنَّما هو بقوة الله وقدرته، وهذا ما أكده بطرس كما في سفر الأعمال (٢/ ٢٢) : «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع المسيح الناصري رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب، صنعها الله بيديه» وقد فصلنا الكلام في ذلك عند حديثنا عن إحياء الموتى فراجعه.

ولا يفوتنا أن نذكر أن ما صنعه موسى يماثل ما صنعه يسوع عندما حوَّل موسى العصا إلى حية، فأي فرق بين ما صنعه يسوع وما صنعه موسى؟! فلو كان فعل عيسى يدل على ألوهيته فإن موسى بفعله هذا يستحق الألوهية هو الآخر.

٢٢- الشفاعة:

قال إبراهيم لوقا: جاء في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَمَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ثم نقل عن الرازي والبيضاوي والجلالين قولهم ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا﴾ بسبب النبوة وفي ﴿الآخِرَةِ﴾ الشفاعة ثم شرع في كلام كثير ليقول في نهايته: إن الإسلام صرح بأن لا شفاعة للبشر وأن هذه الشفاعة من حقوق الله في الوقت الذي

أثبتها فيه للمسيح، كانت النتيجة المنطقية لهذا هي إقرار الإسلام بلاهوت الْمَسِيح، وجواباً عليه أقول: إن هذا القس نسي أو تناسى:

١- أن الشفاعة لا تكون إلاّ بأذن الله كما في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- أن شفاعة نبينا ﷺ يوم الْقِيَامَة أعظم من شفاعة الْمَسِيح، فإنه يشفع في وقت يعتذر فيه عنها الْمَسِيح وغيره من المرسلين، «فإن النَّاس يأتون آدم أبا البشر ليشفع لهم فيقول: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله ولا بعده مثله ثم يذكر أكله من الشجرة التي نهاه ربُّه عنها، وينصحهم بالذهاب إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقول مثل ذلك ثم يذكر دعوته على قومه، وينصحهم بالذهاب إلى إبراهيم فيقول لهم مثل ذلك ويذكر عذره، ثم ينصحهم بالذهاب إلى موسى فيقول لهم مثل ذلك ويذكر قتله نفساً لم يؤمر بقتلها، وينصحهم بالذهاب إلى عيسى فيعتذر عنها هو الآخر وينصحهم بالذهاب إلى محمّد ﷺ الذي يقوم فيسجد لربِّه عزَّ وجلَّ.... حتى يُقال له: يا محمّد سَل تُعطه واشفع تُشفَّع» والحديث بطوله عند البخاري (٣٣٤٠-٤٧١٢ فتح الباري) كتاب الأَنْبِيَاء، ومسلم (١٩٤) في الإيمان، والترمذي (٢٤٣٤) طبعة أحمد شاكر رحمه ا لله، فإن كان هذا دليلاً على الألوهية، فإن نبينا الكريم أولى بها منه، لأن شفاعته للخلق يوم الْقِيَامَة أكمل وأتم من شفاعة الْمَسِيح وشفاعة غيره، ونحن كمسلمين نؤمن أن محمداً ﷺ بشر من بني آدم ونبي من الأَنْبِيَاء، ليس له من الألوهية شيء، مَثَلُه مثل الْمَسِيح وغيره من الأَنْبِيَاء.

٣- أن إبراهيم لوقا جعل من قوله تعالى عن الْمَسِيح: ﴿وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ دليلاً ليرفعه إلى مقام الألوهية، ونقول له ولأمثاله: لو كانت الوجاهة وسيلة ترفع صاحبها إلى منزلة الألوهية، وحُجَّة تدعو أصحابه لرفعه بها إلى منزلة الإله فإن لأصحاب موسى وأتباعه الحقَّ في جعله هو الآخر إلهاً، فقد قال الله تعالى بحقّه: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ آذَوْاْ مُوسَى فَبَرَّأَهُ الله مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ الله وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]. فموسى إذنْ قد سبق الْمَسِيح بالوجاهة، فإن كانت

الوجاهة سبباً يدفع النَّصَارَى لتأليه عيسى، فإنها ستكون سبباً يدفع اليهود لتأليه موسى.

إن اليهود رغم كفرهم بآيات الله وقتلهم الأَنْبِيَاء وإنحرافهم عن منهج موسى، يؤمنون بأنَّه لا يمكن لبشر مهما كانت منزلته أن يصير إلهاً أو مساوياً لله تعالى، والنص التوراتي الوارد في سفر التثنية هو دليلهم على ذلك، ويدعوهم لإقامة الحد على من قال بهذا القول الباطل، والنَّصَارَى يزعمون أن التوراة أصل شريعتهم، وهي جزء من الكتاب المقدس لا يتجزأ، ويؤمنون بالنص التوراتي المشار إليه آنفاً، ولكن ما الذي يدفعهم إلى هذا الاعتقاد الذي ما سبقهم به أحد من العالمين؟!.

٢٣- الْمَسِيح الديَّان:[١] قال إبراهيم لوقا: روى البخاري في صحيحه (ج٣ ص١٠٧):

«لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً» فهذا الحديث ناطق بأن الْمَسِيح سيأتي ديَّاناً عادلاً.... ولا ريب أن الدينونة هي عمل داخل سلطان الله القيوم، ولن يستطيع إنسان مهما سما قدره أن يتجرأ على أن يشارك الله تعالى هذا السلطان الخاص به، فإذا كان الإسلام قد نسب للمسيح هذا الحقَّ فما هو إلاَّ شهادة منه على... لاهوت الْمَسِيح.[٢]

وجواباً عليه أقول:

إن كان هناك أحد لم يتسنَّ له الاطلاع على أساليب المبشرين وطرقهم، فإن صنيع إبراهيم لوقا بين يديه وهو نموذج من أساليبهم في الكذب وتزوير الحقائق، فإذا قرأت في كتاب لأحدهم يبحث في دين الإسلام، فلا تتعجل ولا تدع كلامه يؤثر فيك، بل

---

(١)الديَّان: الذي يدين النَّاس يوم الْقِيَامَة ويحاسبهم على أعمالهم ويفصل بينهم.

(٢)«الْمَسِيحية في الإسلام»، ص١٦٥.

عليك أن تراجع النصوص التي يستدل بها في مظانها، ليظهر لك تلاعبهم وتزويرهم ثم ينكشف لك كذبهم.

لو كان إبراهيم لوقا يتمتع بشيء من الأمانة العلمية لأورد الحديث كاملاً، ولو أورده كاملاً لهدم بذلك ديانته وعقيدته ولهدم كلامه هذا، ولكنه أجتزأ منه جزءً ليضلل القراء (كعادة كل القسيسين) وليوهمهم أن الْمَسِيح سيحكم بين العباد يوم الْقِيَامَة ولو لم يكن إلهاً لما كان حكماً يفصل بين العباد يوم الْقِيَامَة.

نص الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً -وفي رواية مقسطاً- فيكسر الصليب- وفي رواية فيدق الصليب- ويقتل الخنزير ويضع الجزية» الحديث وهو عند البخاري (٢٢٢٢-٢٤٧٦ فتح)، ومسلم (١٥٥) في الإيمان، والترمذي (٢٢٣٣) طبعة أحمد شاكر، وابن ماجة (٣٢٩٦) صحيح سنن ابن ماجة وسياق الشيخين أتم.

قوله (حكماً مقسطاً) في رواية ابن ماجة (وإماماً عدلاً) وقد بيَّن مسلم بعض ألفاظه فقال: وفي رواية ابن عيينة (إماماً مقسطاً وحكماً عدلاً).

فالحكم ليس هو الإله الذي يفصل بين العباد يوم الْقِيَامَة، فيُدخل من شاء منهم الجنَّة ويُدخل من شاء النَّار كما زعم إبراهيم لوقا، لا وإنَّما الحكم هو إمام الرعية وولي أمرهم، وهذا قبل يوم الْقِيَامَة، فأول شيء يفعله كسر الصليب، الصليب الذي زعم النَّصَارَى أنه صُلب عليه، فكسره للصليب تكذيب للنَّصَارَى في دعواهم.

ويقتل الخنزير الذي حرَّمه هو نفسه، وخالفه النَّصَارَى، فأباحوا أكله، ويضع الجزية التي فرضها دين الإسلام مما يعني أنه يحكم بشريعة الإسلام، وكلُّ هذه الأعمال التي يقوم بها تدل على كونه ولي الأمر، وإمام رعية لا إلهاً للناس يفصل بينهم.

فهل في ذلك تصريح أو تلميح بألوهية الْمَسِيح؟!.

إن إبراهيم لوقا وإسكندر جديد والحداد وزكريا بطرس وغيرهم قد هلكوا ورحلوا عن الدُّنيا، وبرحيلهم علموا الحقيقة واكتشفوها بأنفسهم إن كان الْمَسِيح هو الله أم لا ؟

إن مؤلفات القسيسين قائمة على الكذب والتزوير وإجتزاء كلام من نص، وأذكر أني كنت أتصفح كتاب الحداد «الإِنْجِيل في القرآن» فوقع نظري على أثر مفاده أن عثمان ﷺ لما جمع المصحف، أمر بالمصاحف الأخرى أن تحرق وطلب من علي أن يُسلِّم المصحف الذي عنده، فرفض عليّ لأنَّه رأى أن المصحف الذي جمعه عثمان يُخالف المصحف الذي عنده، فرفض تسليم مصحفه، ثم قال الحداد: وهذا الأثر ذكره الترمذي في كتاب التفسير آخر تفسير سورة التوبة.

في الحقيقة أفزعني هذا الأثر، فقمتُ مسرعاً فتناولت المجلد الخامس من سنن الترمذي شرح المحدّث العلاَّمة أحمد شاكر رحمه الله تعالى ورُحتُ اتتبع الأحاديث والآثار الواردة في سورة التوبة من أوَّل حديث فيها وهو حديث ابن عباس وسؤاله لعثمان عن سورتي الأنفال وبراءة إلى آخر حديث فيها، وهو حديث حذيفة وقوله لعثمان: «يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنَّصَارَى» فلم أرَ فيها هذا الأثر، فقلت في نفسي: ربما فاتني هذا الأثر لغفلة منّي فأعدت الكرّة فلم أره أيضاً فقلت: لعل هذا الأثر سقط من نسخة الشيخ أحمد شاكر أو ممن أتم التعليق على الترمذي بعد الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، لأنه توفى قبل إتمام الشرح، فتناولت عارضة الأحوذي للإمام أبي بكر ابن العربي لأنه أقرب عهداً بالترمذي، فلا بدَّ أن تكون نسخته أصح، ورُحتُ أتتبع الأحاديث والآثار الواردة في سورة التوبة فلم أرَ هذا الأثر، عند ذلك تذكرت أساليب النَّصَارَى في الكذب والتزوير والافتراء، وهذه والله شغلة المفاليس، لأن صاحب الحقّ يعرض ما عنده بكل صدق، وأما صاحب الباطل فإنه يلجأ إلى مثل هذه الأساليب.

اللهمَّ يا ربَّ السماوات والأرض أسألك بأسمائك الحسنى كلها أن تتقبل منّي هذا العمل، وأن تنفع به كلَّ من قرأه، وأن تجعله ذخراً لي في الآخرة، وأن ترزقني الصدق والإخلاص في القول والعمل والنيَّة وفي السر والجهر، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير، وسبحانك اللهمَّ وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك.